تتوجه الفقرة الرابعة إلى الشعراء لتقدم مضموناً مفاده أنهم يضحون بأنفسهم ليثمروا جيلاً مناضلاً خصيباً. وهي تطرح هذا المضمون وتكشفه من خلال شكل انجيلي فحواه أن السنبلة لن تولد إلا بعد فناء البذرة في التربة. وهنا نلمس توافقاً رائعاً بين الشكل والمضمون.

هنا قد تبين، حتى الآن، أن تساند الشكل والمضمون يؤتى التوفيق في بعض الأحيان ويفتقر اليه في بعضها الآخر. والآن، كيف تنهض الموسيقى بخدمة المضمون؟

لعل الوظيفة الأساسية لموسيقى الشعر أن تكون الاسهام في حمل المحتوى الشعري، بل ومجمل التجربة الكامنة خلف القصيدة وفي داخلها، إلى الاذن الداخلية للمتلقي. ولن يغيب عن البال أن الموسيقى العذبة الفعالة والمعبرة إن هي إلا انتاج لتعاضد حركة النسيج اللغوي والقدرة الافصاحية التي تتسم بها اللغة نفسها.

منذ الأبيات الاولى يشعر القارىء بأن ثمة نغمة حزينة أسيانة تهيمن على جرس الكلمات، وبذلك تسهم هذه النغمة في نقل الجو المزمع تصويره نقلاً له درجة عالية من الدقة. وفضلاً عن ذلك، يتأتى شعور فحواه أن الموسيقى إنما أتت بطريقة "تلقائية أو ذاتية الانبثاق، بمعنى أن جودة الايقاع لا تستغرق الشاعرة بحيث تضطرها إلى أن تصطنعها اصطناعاً، ولهذا فقد جاءت نغمة الاسى الرزينة كمحول من محولات المضمون نفسه، لا كشيء أقحم عليه اقحاماً من خارجه. وحين بلغت البيت الرابع، وهو ما يؤلف ذروة انفعالية صدقها جوهري أصيل، فقد اختصرت الكم الايقاعي إلى أقل عدد ممكن من المقاطع، أي ما يوازن تفعيلة واحدة فقط، كأنما هي تطبق تطبيقاً تلقائياً أحد المبادىء الموسيقية المعروفة تقليدياً: كلما كان الموقف أكثر انفعالية احتاج إلى عدد ضئيل من المقاطع، لأن ذلك الكم المحدد يتناسب مع حركة التنفس المتسارعة بتسارع الانفعال، وكذلك مع نبضات القلب المتزايدة بتزايده. وبذلك تجعل الكم الايقاعي شيئاً يشبه دفقة اخبارية مشحونة بالانفعال.

ومع أن القصيدة لا تواظب على هذا المعدل الجمالي الراقي في مضمار الموسيقى الداخلية، فإنها تعد نجاحاً نغمياً موفقاً أنجزته فدوى بفعل حرارة الحادث التاريخي. وربما كانت هذه القصيدة أنجح قصائدها في مضمار الموسيقى الشعرية. ولكن، يمكن للمرء أن يشير إلى الفقرة الثالثة على أنها اخفاق واضح من حيث عجز الموسيقى عن نقل المعنى، أو على الأقل من حيث ابتكار قيم صوتية يمكن أن تهيمن على الاذن. ولا تخلو الفقرة الثانية، قبلها، من بعض الاخفاقات ولكنها اخفاقات طفيفة إذا ما قورنت بحال صويحبتها الثالثة. والجدير بالملاحظة أن الصور الفجة الخالية من العاطفة الوهاجة أو الانفعال المتوتر أو الرزين، والمفتقرة إلى ألفاظ بهية وحسنة الادارة هي التي تنطوي على الافتقار إلى الموسيقى التعبيرية، وعلى حلول الرتابة النغمية في مكانها:

ولن يرتد فينا المد والغليان والغضب
ولن ينداح في الميدان فوق جباهنا التعب
ولن نرتاح حتى نطرد الأشباح والظلمة.